وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
الدراسات العليا
قسم التاريخ

المعافى بن زكريا النهرواني وجهوده في كتابة التاريخ من خلال كتابه ((الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي))

رسالة تقدمت بها الطالبة (وئام عاصم إسماعيل) الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في التاريخ الاسلامي

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

عبد الباسط عبد الرزاق حسين

1433هـ 2012م

الفصل الاول
حياته وسيرته العلمية

اسمه وكنيته :

هو المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد [1] بن حماد بن داود [2] . ولم نجد في المصادر ما يشير الى اختلافات في اسمه فهذا هو اسمه أما كنيته فهو ابو الفرج ولا يعرف له كنية غير هذه أيضاً ، وعلى هذا فهو ابو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود . [3]

---

(1) الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن احمد ، (ت463هـ) ، تاريخ بغداد ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت – 2002) / 481/9 ياقوت ، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الله الحموي ، (ت626هـ) ، معجم الادباء – ارشاد الأريب الى معرفة الأديب ، تحقيق احسان عباس ، دار الغرب الاسلامي (بيروت – 1993) ، 2702/6 . العطار : يحيى بن علي بن عبد الله بن مفرج القريشي الأموي النابلسي ، (ت622) ، نزهة الناظر في ذكر من حدث عن ابي قاسم البغوي من الحفاظ والأكابر ، تحقيق مشعل بن باني الجبرين المطيري ، دار ابن حزم ، بيروت – 2002م) ، 153/1 .

(2) القفطي : جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف ، (ت646هـ) ، انباه الرواة على انباء النحاة ، المكتبة العصرية ، (بيروت – 1424هـ) ، ص 3 ، ص 296 ، الذهبي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز ، (ت748هـ) ، سير اعلام النبلاء تحقيق مجموعة من المحققين باشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1985) ، 544/16 .

(3) ابن كثير : ابو الفدا اسماعيل بن عمر ، (ت774هـ) ، طبقات الشافعيين ، تحقيق الدكتور احمد عمر هاشم والدكتور محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، (مصر – 1993م) ، 338/1 . ينظر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 481/9 . ياقوت : معجم الادباء ، 2702/6 . القفطي ، انباه الرواة ، 296/3 . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، 544/16 .

القابه:

اشتهر المعافى بألقاب عدة أشهرها النهرواني فقيل المعافى بن زكريا النهرواني [1] ، والنهرواني نسبة الى النهروان [2] ، فهي المدينة التي ولد فيها وترعرع وعدّ واحداً من أشهر علماءها [3] ، ولقب بالجريري [4] نسبة الى محمد بن جرير الطبري (ت310هـ) العالم المفسر والمؤرخ المشهور عندما تبنى المعافى مذهبه [5].

---

(1) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 47/15 ، الشيرازي : ابو اسحق ابراهيم بن علي (ت476هـ) ، طبقات الفقهاء ، تحقيق احسان عباس ، دار الرائد العربي ، (بيروت – 1970) ، 93/1 ، السمعاني : عبد الكريم محمد بن منصور التميمي المروزي (ت562هـ) ، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ، دراسة وتحقيق موفق عبد الله بن عبد القادر ، دار عالم الكتب ، (الرياض – 1996) ، 485/1 . الأنصاري : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابو البركات ، (ت577هـ) ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق ابراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ، (الاردن – 1985) ، ص 243 .

(2) النهروان : مدينة عامرة تقع على طريق خراسان وهي أول مدينة من هذا الطريق للخارج من بغداد ، فيها خانات وينزل فيها الحاج والمارة وتكثر فيها الغلات وهي على بعد أربعة فراسخ من بغداد . الأصطخري : ابو اسحق ابراهيم بن محمد ، (ت346هـ) ، المسالك والممالك ، نشر الهيأة العامة لقصور الثقافة (القاهرة – ب ت) ، ص 60 . القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ) ،آثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت – ب ت) ، ص 472 .

(3) تحسين حميد مجيد : دراسات في تاريخ ديالى ، مطبعة جامعة ديالى ،(بعقوبة – 2010)، ص 222.

(4) الخطيب البغدادي : ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت463هـ) ، المتفق والمفترق ، تحقيق الدكتور محمد صادق آيدن الحامدي ، دار القادري للطباعة والنشر ، (دمشق – 1997) ، 633/1 . ابن عساكر : ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، (ت571هـ) ، تاريخ دمشق ، تحقيق عمرو بن غرامة العموري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (دمشق – 1995) ، 157/19 . ابن كثير : طبقات الشافعيين ، 338/1 .

(5) السمعاني : عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي ، (ت562هـ) ، الأنساب ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، نشر مجلة دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد – 1962) ، 223/13 – 224 .

وعرف بأبن طرارة [1] أو ابن طرار [2]، أو ابن طراز [3] ، أو ابن طرارا[4] ، لكننا لم نجد في المصادر التي بين أيدينا الى ما يفيد عن سبب تلقبه بهذه الألقاب ، كما لقب بابن طرازة الذي أورده ابن ناصر الدين في كتابه توضيح المشتبه مشيراً الى انه كان نسبة الى موضع بخراسان ، ولربما ان هذا هو اللقب الأصلي وعُرِف فيما بعد الى ابن طرار أو طرارة أو طرارا وربما أيضاً أنه لحقه بسبب اقامته او رحلته الى خراسان هو أو أبيه ، ومن الألقاب الاخرى التي لقب بها المعافى ، البغدادي [5]، وهذا وارد لكون النهروان قريبة من بغداد حيث عدّ من علمائها .

---

(1) ياقوت : ارشاد الأريب الى معرفة الأديب ، 2868/6 ، ابن ناصر الدين ، شمس الدين محمد ابن عبد الله القيسي الشافعي الدمشقي ، (ت842هـ) ، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1993) ، 283/2 .

(2) القفطي : أنباء الرواة ، 251/4 ، ابن الجزري ، شمس الدين ابو الخير ، (ت832هـ) ، غاية النهاية في طبقات القراء ، نشر مكتبة ابن تيمية ، (الرياض – 1351هـ) ، 300/2 ، ابن حجر : ابو الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني ، (ت852هـ) ، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، (بيروت – ب ت) ، 865/3 .

(3) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 231/13 ، ابن ناصر الدين ، توضيح المشتبه ، 338/1 .

(4) ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم ، (ت681هـ) ، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت – 1994) ، 221/5 .

(5) ابن كثير : ابو الفدا اسماعيل بن عمر القرشي البصري ، (ت774هـ) ، البداية والنهاية ، تحقيق علي شيري ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – 1988) 153/9 .

أما تلقبه بالقاضي [1] الذي كثيراً ما كان يسبق اسمه في المصادر فجاء هذا اللقب من اسناد مهمة القضاء اليه اذ تولى القضاء بباب الطاق ببغداد [2] كما لقب المعافى بالحافظ والعلامة وذي الفنون [3] ، ويدل هذا على سعة علمه في مختلف انواع العلوم ، كما لقب المعافى ايضاً بأبي الفتوح [4] ، ولم نحصل على ما يفيد عن سبب تسميته بهذا اللقب ، ولكننا نعتقد غير جازمين انه جاء بسبب النسخ والتصحيف فأراد الناسخ أن يقول حدثنا القاضي ابو الفرج قال حدثنا القاضي ابو الفتوح سيما وأن هذا اللقب ورد حصراً عند صاحب كتاب الأمالي (ت499هـ).[5] ولم يرد في مصادر اخرى تؤكد ذلك .

مولده :

ولد المعافى بن زكريا النهرواني سنة 305هـ استناداً الى رواية التنوخي التي قطعت بذلك فهو يقول : " قال لي ابو الفرج المعافى بن زكريا ولدت يوم الخميس لسبع خلون من رجب سنة خمس وثلثمائة " [6] ، أما قول عمر بن روح وهو أحد تلامذة

---

(1) ابن الاثير : ابو الحسن علي بن ابي الكرم ، (ت630هـ) ، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، (بيروت – ب ت) ، 338/3 . السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين ت911هـ) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية (بيروت – ب ت) ، 293/2 .

(2) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي تعرف بطاق أسماء ، ياقوت : معجم البلدان ،308/1.

(3) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، 144/3 .

(4) الجرجاني : ترتيب الأمالي الخميسية ، 431/2 .

(5) الجرجاني : ترتيب الأمالي الخميسية ، 2 /431 .

(6) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 308/15 .

المعافى من أنه سمع شيخه المعافى يقول عن نفسه بأنه ولد سنة (303هـ) لكنه لم يثبت عليه وانما استدرك على ذلك بالقول : " وحدثني عمن سمعه يقول ولدت في سنة ثلثمائة وخمسة وهو أشبه بالصواب " [1] ، حيث يبدو ان حفظه بالرواية الأولى عن شيخه المعافى لم يكن دقيقاً بدليل قوله : " هكذا حفظي [2] واقر بحفظ الاخرين وسماعهم عندما قال " هو أشبه بالصواب " وعلى هذا اصبح واضحاً من ان ولادة المعافى كانت سنة 305هـ وكما ورد في معظم المصادر التي ترجمت له . [3]

اصله ونسبه :

ينتسب المعافى بن زكريا الى مدينة النهروان التي نسب اليها ولم نعثر في المصادر التي بين ايدينا الى ما يشير الى خلاف ذلك ، فهو ولد وعاش وتوفي في هذه المدينة [4] ، ولا نكاد نحصل على معلومات اخرى تشير الى عائلته أو انحداره القبلي وهل هو مولى ام غير ذلك وانما كل ما أشارت اليه المصادر هو أنه عالم جليل له معرفة واسعة في علوم مختلفة ، وان أباه زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد كان هو الآخر من العلماء المحدثين الذين اخذ عنهم . [5]

حياته :

---

(1) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 308/15 .

(2) المصدر نفسه : 308/15 .

(3) الأنصاري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص 242 . القفطي : أنباه الرواة على أنباء النحاة ، 297/3 . ابن الجوزي : المنتظم ، 24/15 . ياقوت : معجم الادباء ، 2702/6 .

(4) ابن كثير : طبقات الشافعيين ، 338/1 . وينظر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 308/10 . ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج (ت597 هـ)المنتظم في تاريخ الملوك والامم) تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، 24/15 . القفطي : أنباه الرواة ، 297/3 .

(5) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 481/9 .

عاش المعافى بن زكريا النهرواني ما يقارب الخمس والثمانين عاماً قضى معظمها في العلم والمعرفة ، حيث برع في ذلك وبدأ حياته في مدينة النهروان ، متعلماً ومعلماً ، التقى بعدد كبير من شيوخ بلدته من أمثال احمد بن ابراهيم الخليل الكاتب النهرواني وآخرين وتنقل بينهم من أجل ان يستنير ويستزيد من علومهم متحلياً بصفاتهم وخلقهم وهكذا أصبح عالماً فقيهاً ، فصار من أعلم الناس في عصره في الفقه والنحو واللغة واصناف الأدب ويقول ابو محمد الباقي : " اذا حضر القاضي ابو الفرج حضرت العلوم كلها " [1]، ولا يعرف عن حياته الاولى شيئاً اذ لم يترجم لذلك سوى انه ولد وعاش في النهروان وكان فقيراً حيث كان أثر الفقر والبؤس والضر ظاهراً عليه ، فقد أشار الى ذلك ابو حيان التوحيدي بقوله : " رأيته في جامع الرصافة ببغداد وقد نام مستدبر الشمس في يوم شات وبه من أثر الفقر والبؤس والضر امر عظيم مع غزارة علمه واتساع أدبه وفضله وشهرته ، ومعرفته بصنوف العلوم سيما علوم الأثر والأخبار وسير العرب... " .[2]

فهو لم يرغب في منصب ولم تستبد به محبة الجاه والسلطان بل ربما كان يدفع المراتب عن نفسه عملاً بسنة رسول الله (ﷺ) ، وما أكثر ما حذر من السعي الى امارة وانذار الساعي بسوء العاقبة ، ووبال المصير وربما من اجل ذلك احبه معاصروه وصدقوا في وصفه بما هو أهله وكان احد اثنين في القرن الرابع الهجري فهو صنو ابي حيان التوحيدي معاصره يشابهه في روعة الاسلوب واشراق البيان وفصاحة المنطق ، ويخيل الينا ان نوعاً من التعاطف كان يربط بين الرجلين ربما كان ذلك

---

(1) ابن الجوزي : المنتظم ، 24/15 ، السبكي : طبقات الشافعية ، 317/3.

(2) الذهبي : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، 207/27 ، سير اعلام النبلاء ، 474/12

بسبب القاسم المشترك الذي أُلفَ بينهما وهو الفقر ، ولم يكن احسن حظاً من ابي حيان ولكنه لم يرى شاكياً ولا يرى ساخطاً كان ذا نفس كريمة وروح راضية اذا غضب لا يغضب لنفسه ولكنه يغضب لواقع يريد اصلاحه وامور يراها معوجة فيسعى الى تقويمها ومن هنا يختلف طريقه عن طريق ابي حيان ذاك الذي احسّ بمرارة الواقع والى مفاسد عصره فلم يأخذها ككل ولكنه صب صياط غضبه على افراد استثاروا غضبه وحركوا نيران نقمته . [1]

أما اسرته فليس هناك في المصادر ما يّدل على معلومات بهذا الخصوص سوى والده الذي كان محدثاً أخذ منه المعافى [2]، وابنه محمد الذي كان هو الآخر محدثاً [3] ، وليس من معلومات اخرى عن حياتهما ، ويبدو لنا مثل هذا الامر مستغرباً فهو أي المعافى وأبوه من علماء ذلك العصر ، لكن الأضواء لم تسلط على حياته ، سوى نتف من المعلومات لا تعطي صورة متكاملة عن حياته الاجتماعية ، ولكن يظهر ان غزارة علمه وفي مختلف اصناف العلوم وكثرة تصانيفه قد طغت على ما سواها ولم يكن ربما الاصل والنسب مما يهم الناس بقدر اهتمامهم بالعلوم والخلق الحميد والمآثر الكبرى وهذا ما ينطبق على المعافى بن زكريا .

معتقده ومذهبه :

---

(1) ينظر التوحيدي : ابو حيان علي بن محمد بن العباس ، (ت400هـ) اخلاق الوزيرين ، دار صادر (بيروت – 1992) ، 23/1 – 24 ، ياقوت : معجم الادباء ، 1945/5 – 1946 .

(2) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 481/9 .

(3) الصفدي : خليل بن أيبك بن عبد الله ، (ت764هـ) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق احمد الأرنؤوط ، وتركي مصطفى ، دار احياء التراث ، (بيروت – 2000م) ، 27/5 .

ناصر المعافى بن زكريا النهرواني مذهب الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ) ونسج على منواله ونصره ونوه به وحامى عنه [1] ، وهذا المذهب الذي اتخذه الطبري يلتقي مع مذهب الامام احمد بن حنبل واصحابه في صفاء الاعتقاد والجري فيه على طريقة السلف بلا تأويل ولا تفويض ولا تشبيه مع النزوع الى فقه الدليل [2] ، ويبدوا ان المعافى كان هو الرجل الاول الذي خلف محمد بن جرير الطبري في هذا المذهب وكان المعتمد في ذلك ، وعلى هذا لقب بالجريري نسبة الى هذا المذهب . [3]

وفاته :

(1) ياقوت : معجم الادباء ، 2702/6 .

(2) ابن غيهب : بكر بن عبد الله ابو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان ، (ت1429هـ) ، المدخل المفصل لمذهب الامام احمد وتخريجات الأصحاب ، مطبوعات مجمع الفقه الاسلامي ، (جدة – 1417هـ) ، 367/1 .

(3) ابن كثير : طبقات الشافعيين ، 338/9 .

توفي ابو يحيى المعافى بن زكريا النهرواني في يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة سنة 390هـ في مدينة النهروان [1] ، وبهذا يكون عمر المعافى قد بلغ الخمس والثمانين عاماً ، ولم تشر المصادر الى حال وفاته وكيف شيّع ومن صلى عليه من الأكابر سواء من رجال الدولة او العلماء على الرغم من انه كان قد عمل قاضياً فضلاً عن علمه ، ولا نعلم على وجه الدقة السبب في ذلك سيما وان المصادر اكتفت بذكر سنة وفاته وبالدقة مع الشهر واليوم دون المزيد من التفصيلات ، ولربما ما كانت تمر به بغداد في ذلك الوقت من حالة اضطراب سياسي نتيجة السيطرة البويهية وانعكاس ذلك سلباً على حياة العلماء كان سبباً في ذلك ، حيث تشير المعلومات الى حالة الفقر والبؤس التي كان عليها المعافى رغم سعة علمه وشهرته، فكان متعففاً . [2]

عصره :

كانت ولادة المعافى بن زكريا سنة 305هـ ووفاته سنة 390هـ [3] ، وهذا يعني ان حياته شغلت ست وخمسين عاماً من عصر وصف بأنه عصر أو عهد الاحتلال البويهي (334هـ – 447هـ / 945 – 1055م) ، والذي آلت فيه مقدرات الدولة عربية الاسلامية في عصرها العباسي الى اسرة آل بويه الفارسية التي تنتسب الى زعيمها بويه من اقليم الديلم في جنوب غرب قزوين ، وبويه هذا يرجع في نسبه الى آل

---

(1) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 308/15 ، الانصاري : نزهة الألباء ، ص 243 ، ياقوت : معجم الادباء ، 2703/6 ، القفطي : أنباه الرواة ، 797/3 ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 221/5 ، ابن كثير : البداية والنهاية ، 376/11 .

(2) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، 204/3 .

(3) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 308/15 .

ساسان ملوك الفرس القدماء [1] ، ولا نريد هنا الخوض في اصل هذه الاسرة وكيف سطع نجمها ، وكيف اتيحت لها الفرصة المناسبة سيما وان الاحوال السياسية والاقتصادية في العراق كانت قد تدهورت في ذلك الوقت بسبب تنافس وتنازع الاتراك على منصب امرة الامراء وعجزهم عن دفع ارزاق الجند وحفظ الامن في البلاد [2] ، بقدر ما نريد ان نوضح وبشكل عام انعكاسات سيطرة البويهيين على مقاليد الامور في العراق والخلافة العباسية بشكل عام ، وكيف تأثر بها العلماء ورجال الفكر في هذا العصر ومنهم المعافى بن زكريا النهرواني الذي عاش بدايات هذا الاحتلال في مرحلة شبابه وحتى وفاته وفي الحقيقة ان المصادر التاريخية لا تسعفنا بمعلومات وافية عن اثر مباشر او موقف واضح يمكن ان نرسم من خلاله حياة المعافى في هذه الفترة المتدهورة سياسياً واقتصادياً من تاريخ الخلافة العباسية ، ولكننا يمكن ان نرسم هذه الصورة بخطوطها العامة ، وملامحها العريضة ، وهي صورة مأساوية ، ربما نستشفها من كلام المعافى نفسه وهو يتحدث عن ذلك البؤس والشقاء الذي كان يعانيه المجتمع الاسلامي انذاك في مقدمة كتابه الجليس الصالح والأنيس الناصح فهو يقول : " وقد تجشمت إملاء هذا الكتاب على ما خلفته ورائي من طوال السنين ، حصلت فيه من عشر التسعين مع ترادف الهموم وتكاثف الغموم ومشاهدة ما أزال مرتمضاً به وممتعضاً منه لفساد الزمان وانتكاسه ، وعجيب تقلبه وانعكاسه ، واختلاطه وارتكاسه ،

---

(1) مسكويه : ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب ، (ت421هـ) ، تجارب الامم وتعاقب الهمم ، 136/2 – 137 .

(2) ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، ص 16 .

ووضعه الاعلام الرفعاء ، ورفعه الطغام الوضعاء ، فقد حلّ الأراذل محل الأفاضل ، وأعطى السفيه الأخرق حظ النبيه العاقل ، وصرف نصيب العالم الى الجاهل وصيّر الناقص مكان الوافر الكامل ، والراجح الفاضل وقدم على العلم المبرز الغفل الخامل ، ولقد قلت في بعض ما دفعت اليه ، وامتحنت به حين منعت النصف وحملت على الخسف حتى انقدت للعنف واصبحت عند الغلبة والعسف " .

وقوله شعراً وهو يذم زمان السوء الذي هو عاش فيه بالقول :

علام أعوم في الشبه وأمري غير مشتبه
أرى الأيام معتبراً على ما بي من الوله
بلحظ غير ذي سنة وحظ غير منتبه
أروح وأغتدي غبناً أكثر من أقل به

وقوله في هذا المعنى أيضاً :

أأقتبس الضياء من الضباب وألتمس الشَّرَاب من السراب
أريد من الزمان النذل بذلاً وأرياً من جنى سلع وصاب
أرجي أن لا أُلاقي لاشتياقي سراة الناس في زمن الكلاب

ثم بعد ذلك يضيف الى هذا وصفاً دقيقاً لحال العلماء بقوله : " وأرجو أن يغير الله ما أصبحنا منه ممتعضين ، وأمسينا معه مرتمضين ويشفي صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوب الأماثل من العلماء المبرزين ، فقد بلغ منهم ما يرون من تقدم الأراذل الضلال ، والأداني الجهال ، حتى صدروا في مجالس علم الدين وقدموا في محافل ولاة امور المسلمين ، وصيروا قضاة وحكاماً ورؤساءً وأعلاماً دون ذوي الأقدار وأولي الشرف والأخطار وكثير ممن يشار اليهم منهم لا يفهم من كتاب الله آية وإن

تعاطي تلاوتها لحن فيها وأتى بخلاف ما أنزل الله منها ولا كتبوا سنة من سنن رسول الله (ﷺ) ولا دورها وإن تكلفوا ذكرها أحالوها وآتوا بها على غير وجهها ولا عرفوا شيئاً من ابواب العربية وتصريفها ولا لهم حظ في الفلسفة واجزاءها ومع هذا فقد اتفق لبعضهم من فريق قد شدا من العلم طرفاً ونال منه حظاً عدد يعظمونه ويغلون في تعظيمه وتقديمه على أنفسهم .... " . [1]

وهذه الصورة المأساوية المتشائمة تعكس حالة العصر الذي عاش فيه المعافى وهو العصر البويهي ، فقد أنشا البويهيون امارة وراثية في قلب الخلافة العباسية ، وعاثت هذه الامارة في بغداد والمدن العراقية فساداً حيث لحق الناس فيها ضرراً كبيراً [2] واستمر بنو بويه في حكمهم للعراق اكثر من قرن من الزمان بقليل ، وقد ولي الخلافة على ايامهم اربعة من الخلفاء العباسيين أولهم المستكفي بالله الذي عزلوه في بداية حكمهم سنة 334هـ ، ثم المطيع (334 – 363هـ) ، والطائع (363 – 381هـ) ، ثم القادر بالله (381 – 422هـ) الذي انتهت دولة بني بويه في عهده . [1]

وعلى هذا يمكن القول ان المعافى بن زكريا كان قد عاصر اربعة من خلفاء الدولة العباسية ، أما السلاطين من البويهيين الذين حكموا في هذه الفترة أي في عصر

---

(1) الجليس الصالح : ص 8 .

(2) ابن الأثير : ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدين ، (ت630هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – 1977) ، 449/8 ، ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا ، (ت709هـ) الفخري في الاداب السلطانية ، دار القلم العربي ، (بيروت – 1997) ، ص 278 .

(1) العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ،دار النهضة العربية (بيروت– بت) ص158

المعافى (305 – 390هـ) فهم [2]عماد الدولة (334 – 338هـ) ، وعضد الدولة فناخسرو (338 – 372هـ) ، وشرف الدولة شيرزيل (372 – 380هـ) ، وصمصام الدولة مررزبان (380 – 388هـ) ، وبهاء الدولة (388 – 403هـ) .

وتعد هذه الفترة التي هيمن فيها البويهيون الديالمة على العراق الى حد كبير امتداداً تاريخياً للفترات اللاحقة من تاريخ العراق في العصر العباسي المتأخر وهي الفترات التي ساد فيها تغلغل العناصر الأجنبية وتسلطها على الشؤون الادارية والسياسية للدولة العباسية .[3]

لقد اضطربت الاحوال السياسية والادارية في هذا العهد كثيراً فالبويهيون قبائل ديلمية بدوية لا تمتلك عناصر حضارية وليس لها تجربة في النظم والمؤسسات الادراية لدولة منظمة ، ولم يكن من المتوقع ان يكون البويهيون عندما دخلوا بغداد عاصمة الدولة العربية الاسلامية ان يضعوا أية اضافات حضارية ، فالدولة العربية الاسلامية خلال القرن الرابع الهجري قدمت عطاءات متنوعة كبيرة وبلغت أوج تنظيمها الاداري بعد تجربة امتدت منذ فترة الخلافة الراشدة مروراً بالخلافة الأموية. فقد أصبحت الماكنة الادارية للدولة خلال الفترة العباسية متطورة ومعقدة ، وان البويهيين ساعدوا على تفكيك

---

(2) كليفورد بوزوورث : الأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي – دراسة في التاريخ والأنساب ، ترجمة حسين علي اللبودي ، مؤسسة الشراع العربي ، (الكويت – 1995) ، ص 144 .

(3) عبد الجبار ناجي وآخرون ، الدولة العربية في العصر العباسي ، مطبعة جامعة البصرة ، (البصرة – 1989) ، ص 265 .

هذه الماكنة واضعافها لأنهم لم يوفروا اهتماماً لهذه الشؤون بقدر انشغالهم بصراعاتهم الداخلية ذات النزعة المصلحية [1] .

ان الصورة المأساوية التي تحدث عنها المعافى في مقدمة كتابه هي اشارة غير مباشرة الى ما كان يعيشه المجتمع انذاك في عصره وهو العصر البويهي والذي تحدث عنه المؤرخون وادلوا به حيث ذاق الفرد الويلات والآلام ، فقد ازدادت المصائب الاجتماعية وندرت الأقوات والمواد الغذائية الرئيسية وارتفعت اسعارها بزيادات فاحشة وتوالت النكبات الطبيعية وازداد نفوذ اللصوص وقطاع الطرق [2] ، فضلاً عن هذا فان البويهيين قد شجعوا الانقسامات الداخلية بين الأهالي فانقسموا الى طوائف وجماعات وفئات ، وثارت الفتن الطائفية والقبلية بين محلات بغداد والمدن الاخرى راح ضحيتها الكثير من الاهالي . [3]

ان عصر كهذا لا يمكن ان تكون انعكاساته إلا سلبية على الجميع ومنهم العلماء والمفكرين إلا ما يمكن ان نقوله ان حالة التحدي هي دائماً ما تبرز في أزمان النكبات وحالات التدهور وعلى هذا فان ما يبرز من نبوغ فكري وفي شتى المجالات في هذا العصر أو الذي تلاه لا يمكن الا ان يدخل او يفسر من هذا الباب ، وهو حالة التحدي الذي عاشته الامة الاسلامية في هذا العصر وما بعده ، سيما وان العلماء والمفكرين لم يكن يهمهم ما هم عليه من سوء حالة معاشية واجتماعية ، فهذا عالمنا المعافى بن زكريا النهرواني وهو يجلس

(1) ناجي : الدولة العربية في العصر العباسي ، ص 303 .
(2) ابن الجوزي : المنتظم ، 172/7 .
(3) المصدر نفسه ، 114/7 ، 256/168 ، ناجي ، الدولة العربية في العصر العباسي ، ص356-358

مستدبر الشمس في حالة يرثى لها من سوء معاش [1]، لكنه تحدى ما هو عليه من سوء حال ، ليكون في احسن حال وهو سموهُ الفكري ، ومثل هذا يمكن ان نقول عن معاصره ابو حيان التوحيدي الذي عاش هذا العصر فقيراً صابراً [2] لكنه كان قوي النفس مزدرياً بأهل عصره . [3]

موطنه :

ولد وعاش المعافي في النهروان والنهروان هي مدينة مهمة مشهورة ، وهي مبتدأ طريق خراسان ، اشتهرت بالواقعة التي سميت بواقعة النهروان التي وقعت بين الامام علي بن

(1) ياقوت : معجم الادباء ، 702/6 ، الذهبي : سير اعلام النبلاء ، 545/16 ، السيوطي ، بغية الوعاظ ، 293/2 .

(2) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، 123/17 .

(3) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، 288/5 .

ابي طالب (ﷺ) والخوارج وهم الذين خرجوا عليه من جيشه سنة 38هـ [1] ، وتقع مدينة النهروان شرق بغداد على بعد اربعة فراسخ [2] (الفرسخ 5 كم) ، وكانت تخرج القوافل من بغداد متجهة الى الشرق مارة بهذه المدينة ، والطريق جميل تحفه اشجار النخيل ، وتقسم النهروان الى قسمين غربي وشرقي ، فالقسم الغربي فيه المسجد الجامع والأسواق وحول المسجد الخانات التي ينزلها المارة من الحجاج والتجار وغيرهم من المسافرين ، ويشق المدينة نهر النهروان [3] تجري فيه المراكب العظام والسفن الكبرى [4] ، وفي وصف للمدينة من قبل الجغرافيين انها مدينة تكثر فيها الغلات وتكثر فيها الخيرات ، وكان الجانب الشرقي أعمر من الغربي على حد قول المقدسي (ت387هـ) وتسقى بساتين هذا الجانب من ماء النهروان وتامرا (ديالى) ، وهما نهران عظيمان اما الجانب الغربي فيسقى من نهر عيسى وهو نهر تجري فيه السفن من الفرات الى بغداد وليس به سد ولا حاجز .[1]

---

(1) البكري : ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ، (ت487هـ) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عالم الكتب ، (بيروت – 1403هـ) ، الحميري : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، (ت900هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، (بيروت – 1980) .

(2) الحميري : الروض المعطار ، 582/1 .

(3) الأصطخري : ابو اسحق ابراهيم بن محمد ، (ت346هـ) ، المسالك والممالك ، دار صادر بيروت – 2004) ، ص 86 .

(4) المقدسي : شمس الدين محمد المعروف بالقياري ، (ت387هـ) ، أحسن التقاسيم ، (ليدن – 1909) ، ص 121 .

(1) الادريسي : محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني ، (ت560هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، عالم الكتب ، (بيروت – 1409هـ) ، 667/2 .

أما الأصطخري [2] ، فيقول ان مدينة النهروان كانت أيامه عامرة يشق نهر النهروان وسطها على اربعة فراسخ من بغداد فيما يسفل من دار الخلافة الى اسكاف وغيرها من المدن الاخرى .

هذه هي مدينة النهروان في عصر المعافى بن زكريا النهرواني ، فقد كانت عامرة قبل ان يغير حالها في العصور التالية من الخلافة العباسية ، فقد اندثرت قناتها وتبدل حالها وأصبحت خراباً لأن طريق خراسان قد عدل عنها واتجه شمالاً ماراً ببعقوبة [3] ، ويصف المستوفي القزويني (ت682هـ) ان مدينة النهروان كانت من أجمل نواحي بغداد وأكثرها دخلاً وأحسنها منظراً وأبهاها فخراً اصابتها عين الزمان فخربت بسبب الاختلاف بين الملوك السلجوقية وقتالهم بعضهم بعضاً وكانت ممر العساكر فجلا عنها أهلها واستمر خرابها ومن شرع في عمارتها من الملوك مات قبل تمامها [4] ، والنهروان تبعد عن بعقوبة أربعة وعشرين ميلاً [5]، والى واسط أربعين ميلاً [1] وقد خرج من النهروان عدد كبير من العلماء بمختلف انواع العلوم والمعارف، فالمعافى بن زكريا النهرواني موضوع البحث واحد من اولئك العلماء الكبار الذين

---

(2) المسالك والممالك : ص 60 – 61 .

(3) لسترنج ، غي : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، (بغداد – 1954) ، ص 85 .

(4) اثار البلاد واخبار العباد ، ص 472 .

(5) الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، 269/2 .

(1) الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الافاق: 671/2 .

(2) لمزيد من التفصيلات راجع تحسين حميد مجيد ، دراسات في تاريخ ديالى ، المطبعة المركزية ، جامعة ديالى ، (بعقوبة – 2010) ، 222/1 وما بعدها .

انتشر فضل علمهم في الآفاق،وقد أحصى الاستاذ الدكتور تحسين حميد مجيد من علماء هذه المدينة (31) واحد وثلاثين عالماً في مختلف أنواع العلوم دونّ تراجمهم في كتابه (دراسات في تاريخ ديالى) [2]، واذا اردنا ان نضيف الى هؤلاء العلماء الذين تلقبوا بالنهرواني علماء آخرين تلقبوا بأسماء القرى التابعة للنهروان لكان العدد يفوق ما احصي بالضعفين ، هذا وان دلَّ على شيء

فإنما يدلُّ ان هذه المدينة فضلاً عن قراها قد ازدهرت حياتها الفكرية فأخرجت كل هؤلاء العلماء الذين أثروا الحياة الفكرية والأدبية بثقافة من كل الالوان ، فكان المعافى بن زكريا النهرواني واحداً ممن كان لهم باع طويل في هذه الثقافة وعلماً من علماء المعرفة فيها .

أقوال العلماء وتوثيقهم له :

حظي المعافى بن زكريا النهرواني بقبول كبير من علماء عصره او الذين جاءوا من بعده واخذوا عنه في مختلف العلوم التي برع فيها ، فقد بذل في سبيل العلم بقدر هائل من المعلومات حفلت بها كتب التاريخ والحديث والتفسير والفقه وغير ذلك ، فقد أثنى عليه كثيراً من العلماء الذين نال ثقتهم واحترامهم وكان موضع تقديرهم ، وهذا يتضح من أقوالهم فيه ، فقد وصفوه بأجمل العبارات من المدح والثناء مع توثيقهم له ، فقال عنه الخطيب البغدادي (ت463هـ) " كان من أعلم الناس في وقته بالفقه والنحو واللغة واصناف الأدب " [1] ، وقال ايضاً والكلام للخطيب البغدادي " سألت

(1) تاريخ بغداد : 308/15 .

البرقاني عن المعافى ، فقال : كان أعلم الناس وكان ثقة " [2]، وحكي عن ابي محمد البافي [3] انه كان يقول في المعافى : " اذا حضر القاضي ابو الفرج فقد حضرت العلوم كلها " [4] ، وقيل عنه : " وكان آية من الحفظ والمعرفة والتفنن " [5] ، وقيل أيضاً : " من نظر في كتابه المسمى (الجليس والأنيس) علم انه أهل لهذا الثناء " [6] ، وقد وصفه ابو حيان التوحيدي وهو من معاصريه بغزارة العلم عندما قال : " ... رايت المعافى قد نام مستدبر الشمس في جامع الرصافة في يوم شات وبه من اثر الضر والفقر والبؤس أمر عظيم (مع غزارة علمه) " . [7]

وعندما ترجم له صاحب وفيات الاعيان قال فيه : " كان ثقة مأموناً في روايته " [8] ، ويصفه الذهبي بالقول : "... كان أحد العلماء يحكمُّ بقوله ويرجع الى رأيه وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه احد من أهل عصره ... " [1] ، ومما قيل عنه : " العلامة في العلوم " [2] ، وانه : " ثقة " [3] و " ذو الفنون " . [4]

---

(2) البرقاني : الامام العلامة الفقيه شيخ الفقهاء والمحدثين ابو بكر احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي ، الشافعي صاحب التغابن ، تاريخ بغداد ، 464/17 .

(3) البافي : نسبة الى باف وهو ابو محمد البافي كان من أفقه أهل زمانه من المعرفة بالنحو والادب توفي سنة 398 هـ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، 317/3 .

(4) العطار : نزهة الناظر 153/1 .

(5) المصدر نفسه : 154/1 .

(6) المصدر نفسه : 154/1 .

(7) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، 545/16 ، السيوطي ، بغية الوعاة ، 293/2 .

(8) ابن خلكان : 221/5 .

(1) الذهبي : شمس الدين ابو عبد الله ، (ت748هـ) ، العرش ، تحقيق محمد خليفة بن علي التميمي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية ، (السعودية – 2003) ، 359/2 .

(2) ابن الصلاح : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، 178/1 .

(3) ابن الجوزي : المنتظم ، 213/7 .

وعلى هذا فرجل يوصف بهذه الأوصاف الدالة على السعة في العلم لا يمكن ان يكون الا جديراً بالاهتمام والاخذ عنه ، ويبدو ان صيته قد بلغ الآفاق واسمه قد تردد على ألسنة الكثيرين من العلماء وغيرهم ، ولذلك ما حصل للمعافى وهو في الحج من رواية استغربها هو ، لكننا لا نستغربها ونعتقد دون الجزم بذلك ان المنادي الذي نادى باسمه كان يقصده دون غيره ولكنه ربما قد التبس عليه المكان في نهروان الغرب او الشرق ، الرواية تقول وهي من غريب ما حدث للنهرواني : " ... قال ابو عبد الله محمد بن ابي نصر الحميدي : قرأت بخط المعافى بن زكريا : حججت وكنتُ بمنى ، فسمعت منادياً ينادي : يا أبا الفرج المعافى : قلت من يريدني؟ وهممت أن أجيبه ، ثم نادى : يا أبا الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ، فقلت أنا ذا ما تريد ؟ فقال لعلك من نهروان العراق قلت نعم ، قال نحن نريد نهروان الغرب ، قال : فعجبت من هذا الاتفاق ، وعلمت ان بالمغرب مكاناً يسمى النهروان " [5] ، ولكن ليس هناك في المصادر الجغرافية او غيرها ما يفيد ان هناك نهروناً بالغرب ، ولا ندري لعل المنادي كان يقصد الجانب الغربي من النهروان سيما وان مدينة النهروان كانت بقسمين شرقي وغربي . [1]

وعلى هذا وعلى كثرة ما قيل فيه مدحاً فهو العالم الجليل الذي استحق قول البافي عنه : " ... لو أوصى رجل بثلث ماله أن يدفع الى أعلم الناس لوجب أن يدفع

---

(4) السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر ، جلال الدين ، (ت911هـ) ، طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1403هـ) ، ص 80 .

(5) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، 16 / 547 .

(1) الاصطخري : المسالك والممالك ، ص 86 .

الى المعافى بن زكريا " [2] ، وقد صح تحديه للقوم الجالسين الذين سألوه في أي علم يمكن ان يتذاكروا ، فأجابهم بما يفيد انه عالم بكل ما يمكن ان يتذاكروا به مما حوته خزانة احد جالسيه من العلماء : " خزانتك قد جمعت انواع العلوم ، واصناف الادب ، فان رأيت ان تبعث بالغلام اليها وتأمره ان يفتح بابها ويضرب بيده الى أي كتاب قرب منها فيحمله ، ثم تفتحه وتنظر في أي نوع هو فنتذاكره ونتجارى فيه .. " [3]، وهكذا كما يقول ابن روح ، احد تلامذته يدلّ على ان المعافى كان له أنسة بسائر العلوم . [4]

ثقافته والعلوم التي برع فيها :

يعد المعافى بن زكريا النهرواني من العلماء الذين يمكن ان يقال عنهم من الموسوعيين حيث برع في علوم عدة ، وكان يقال : (اذا حضر المعافى حضرت العلوم كلها ، ولو ان رجلاً أوصى بثلث ماله لأعلم الناس لوجب ان يدفع الى المعافى هذا قول ابن روح الذي اشرنا اليه من قبل ، ونحن لا نزيد على قول ابن روح في وصفه لهذا العالم الجليل فواقع في التراث العلمي العربي يؤكد للمعافى ذلك من كثر تصنيف وتأليف وصحة اطلاع واسلوب علمي في عرض الاخبار والروايات فضلاً

(2) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 308/15 ، القفطي ، انباه الرواة ، 297/3 . الذهبي : تذكرة الحفاظ ، 144/3 ، ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراءة ، 302/2 .

(3) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 308/15 .

(4) المصدر نفسه : 308/15 .

عن اقوال العلماء فيه مدحاً فقد قيل عنه أنه كان له انسة بسائر العلوم [1] ، وسئل البرقاني عن المعافى فقال : " كان أعلم الناس في عصره وكان ثقة " [2]وقال ابن النديم وهو من معاصريه هو " أوحد عصره " ، وعلى هذا قصر المعافى حياته على العلم والأدب وأحتل مكانة عالية في نفوس تلامذته ومعاصريه وسوف نعرض أهم علومه ومعارفه وكما يلي :

1- علمه بالشعر :

للمعافى معرفة في نظم الشعر ، فقد حدث المعافى عن نفسه في هذا الاطار : " كنت في الحداثة أنشأت كلمة مسمطة على نحو قصيدة مدرك الشيباني في عمرو النصراني ، فكان مما ذكرته في كلمتين هذه عند صفة عين انسان .

سقم أوى أحسن عين تطرَفُ تقوى به وللقلوب تُضعِفُ

كسم في الأفعى بغي من يحصفُ يحيا به و للنفوس يتلفُ [1]

ثم يقول بعد ذلك في قصيدة له :

دواءٌ من أقصده بسَهمهِ تكراره نحو مَرامي سَهمِه

كالأفعوان يشتفى من سمه يشربْ درياق كريه لحمهِ [2]

---

(1) القفطي : انباه الرواة ، 297/3 .

(2) هو احمد بن محمد بن احمد بن غالب ابو بكر البرقاني الخوارزمي الحافظ نزيل بغداد سمع من الكثير من العلماء والمحدثين وكان ثقة ورعاً متقناً متثبتاً ولد سنة 336 هـ وتوفي 425هـ . ابن نقطة ، محمد بن عبد الغني بن ابي بكر بن شجاع البغدادي ، (ت629هـ) ، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، نشر دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1988) ، ص 168 .

(1) البغدادي : جعفر بن احمد بن الحسين السراج القاري ، (ت500هـ) ، مصارع العشاق ، دار صادر ، (بيروت – ب ت) ، 44/1 .

ثم يقول ولنا أيضاً في كلمة :

و سقاني بسقم مقلة ظبي قد قلبي منه بأحسن قدِّ

سقهما لي شفاء دائي اذاجا دت وداءّ اذا تصدت لصدِّ [3]

وفي مجال الأدب وفضل الشعر وقصائد الشعراء ، فقد روى المعافى بن زكريا الكثير من هذا القبيل مما يدلُّ على انه كان مهتماً ويستهويه مثل ذلك . [4]

ومن شعره انه عندما بُعث اليه ليحضر احد المجالس العلمية وكانت الدعوة هي عبارة عن بيتين من الشعر كتبهما صاحبهما على يد أبنه ليدعو فيها المعافى للحضور :

أذا أكرم القاضي الجليل وليه وصاحبه الفاه للشكر موضعاً

ولي حاجة بأني بني بذكرها و يسأله فيها التطول أجمعا [5]

فأجاب المعافى :

دعا الشيخ مطواعاً سميعاً لأمره يؤاتيه باعاً حيث يرسم أصبعا

وهنا أنا في غاد في غد نحو داره أبادر ما قد حده لي مسرعا [1]

ومما قاله المعافى شعراً ما رواه الشيخ ابو الطيب الطبري ، قال أنشدنا المعافى بن زكريا لنفسه [2]:

ألا قل لمن كان لي حاسداً أَتدري على من أَسأت الأدب

---

(2) المصدر نفسه : 44/1 .

(3) المصدر نفسه : 44/1 .

(4) لمزيد من التفصيلات ينظر المصدر نفسه ، 163/1 ، 165 ، 166 ، 167 ، 168 ، 173 ، 174 .

(5) ابن الجوزي : المنتظم ، 231/7 .

(1) ابن الجوزي : المنتظم ، ص 231/7 .

(2) ابن الجوزي : المنتظم ، 214/7 ، ابن كثير : البداية والنهاية ، 328/11 .

أسأت على الله سبحانه لأنك لا ترضى لي ما وهب

فجازاك عني بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب

وقال ايضاً ينشد فيه لنفسه [3] :

زيارة الراجل في الطين أبرد من برد الكوانين

فلا يصلح التسليم في يوم الندى إلا لأصحاب البرادين

وهكذا يبدو لنا المعافى بن زكريا النهرواني قادراً على قول الشعر ونظمه كلما دعت الى ذلك مناسبة أو غير ذلك فهو يمتلك ناصية اللغة وهو قادر على تسخير مفرداتها شعراً ونظماً .

2- علمه في اللغة

للمعافى باع كبير في علم اللغة العربية ومعرفة الفاظها وتصاريفها وفنونها فهو يفسر ويشرح ما غمض من مصطلحات لغوية تبدو غريبة وردت في رواياته ، فعلى سبيل المثال لا الحصر وردت لفظة [أوطأنا عقبك] في احدى رواياته فجاء ليشرحها بالقول : : " قول زياد وأوطأنا عقبك يريد أن يشرفك وننوه بك ونرفع من قدرك فيكثر

(3) الأصبهاني : صدر الدين ابو طاهر السلفي ، التاسع عشر من المشيخة البغدادية ، مخطوط نشر في جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الاسلامية ، 2004 ، ص 35 .

اتباعك ويطأ الرجال عقبك باتباعهم اياك وازدحامهم في موكبك " [1] ، والعرب تقول للرجل اذا وصفته بالسؤدد فلان موطأ الأعقاب كما قال الشاعر :

يا سيداً ما أنت من سيد مُوَطأ الأعقاب رحب الذراع

مَوال معروفٍ وفعَّاله وَهَّاب أَمَّاتِ الفصال الرِّباع [2]

والمعافى يصحح لغوياً ما يرد عنده من بعض الالفاظ التي يراها غير صحيحة ، ففي نصٍ يذكره في احدى رواياته : " فاني بين النائحة واليقضانه " يقول مصححاً هكذا ورد في الخبر ولكن الصحيح والمشهور في العربية [اليقظانة] [3]أي بوضع التاء فوق الهاء .

ومما يمكن ان نستدل به على طول باع المعافى في اللغة وامتلاكه لناصيتها وتفسيره لمفرداتها ما أورده في المجلس الثاني والثلاثين [4] ، وهو يتحدث عن نساء الرسول (ﷺ) وهن يسألنه النفقة حيث وردت بعض المفردات اللغوية مثل مفردة [واجم]

فيقول في تفسيرها الواجم هو الحزين والوجوم الحزن ، ثم يفسر قول عمر إبن الخطاب (رضي الله عنه) [فوجأت عنقها] معناه صك عنقها بيده أو غيرها ويورد بيتاً من الشعر يقول فيه

وكنت اذلَّ من وتد بقاع يوجئ رأسه بالفهر وافي [1]

---

(1) المعافى : الجليس الصالح ، ص 254 .

(2) المصدر نفسه : ص 254 – 255 .

(3) المصدر نفسه : ص 271 .

(4) المصدر نفسه : ص 239

ومن هنا يظهر علم المعافى بمعاني اللغة ويمكن ان نستزيد من ذلك من خلال امثلة اخرى قال عبد الله بن المبارك : " اذا سمعتم عني الحديث فأعرضوه على اصحاب العربية ثم احكموه " [2] ، لذلك قال غير واحد من المحدثين ان المحدث اذا شك في حرف سأل أهل النحو ومن الامثلة على ذلك قال الاصمعي : " كنت في مجلس شعبة فقال أي شعبة تسمعون جرش طير في الجنة " فقلت جرس الطير اذا سمعت صوت منقاره على شيء يأكل وسميت النحل جوارس من هذا لأنها تجرس الشجر لأنها تأكل منه والجرس الصوت الخفي واشتقاق الجرس من الصوت والحس ، فيلاحظ من هذه الحادثة ان شعبة أخطأ في حرف فيصحح له الخطأ [3].

أمام أهل اللغة بأن الكلمة هي جرس بالسين المهملة وليست بالشين المعجمة وسرعان ما يرجع شعبة الى قوله : قال الحافظ الخطيب بعد أن ذكر حديث جابر مرفوعاً [اذا أَرفت الحدود فلا شفعة] ، قال القاضي ابو الطيب الطبري سمعت أبا محمد البارقي يقول ذكر لنا الداركي هذا الحديث في تدريسه في كتابه الشفعة فقال :

[اذا أزفت الحدود] فسألت عثمان بن جني النحوي عن هذه الكلمة فلم يعرفها ولا وقف على صحتها ، فسألت المعافى بن زكريا النهرواني عن هذا الحديث وذكرت له طرفة فلم أَستتم المسألة حتى قال : (اذا أَرفت الحدود) والأرف المعالم يريد اذا بينت

---

(1) الجليس الصالح : ص 239 .

(2) عبد الله بن المبارك : الامام شيخ الاسلام عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته ابو عبد الرحمن الحنظلي ، ولد سنة 128هـ محدث مشهور وحديثه حجة بالاجماع . الذهبي : سير اعلام النبلاء ، 400/8 .

(3) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية ، ص55

الحدود وعينت المعالم ميزت فلا شفعة [1] ، ومن هذه المسألة يبدو لنا مدى علم المعافى بالعربية والنحو والتي اعتذر عن معرفتها من له طول باع في النحو كابن جني .

ويفسر المعافى كلمة (نعام) فقال هي كلمة (كبلى) إلا أنه في جواب الواجب [2]، ونعام بأشباع الفتحة حتى تحدث الالف ، يقول المعافى وهي لغة أيضاً وهي كلمة كبلى إلا انه في جواب الواجب . [3] ويروي المعافى [4] خبر رجل اشتهى الحلوى فخرج الى الطريق فاذا : " ... أخاوين فنودي : يا اسماعيل هذا الذي اشتهيت وإن تركته خير لك ... " وبعد ان ينتهي المعافى من سرد الخبر يقول : " قوله أخاوين حلوى يقال لما يجعل عليه الطعام قبل جعله : خوان فاذا جعل عليه فهو مائدة فاذا رفع الطعام عنه عاد الى تسميته خواناً وزعم بعضهم أن المائدة انما تسمى بهذا الاسم إذا خف ما عليها من الطعام لأنها حينئذ تميد " ، وهو بهذا يقدم تفسيراً واضحاً غير ثقيل ولا جاف كما ترد الألفاظ والمعاني في كتب اللغة والمعاجم .

3- علمه بتفسير القران الكريم وعلم القراءات .

---

(1) الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، مجلة البحوث الاسلامية ، 287/67 وما بعدها .

(2) الفيروز ابادي ، مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب ، (ت817هـ) القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت – 2005) ، 1164/1 .

(3) الزبيدي : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، (ت1205هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، (بيروت – ب ت) ، 521/33 .

(4) الجليس الصالح : ص 541 .

علم التفسير هو في الأصل يعني الكشف والتوضيح والتبيين والاظهار ، وهو توضيح لمعاني الآيات وقصتها وشأنها وأسباب نزولها عن طريق الفاظ تدلّ عليها دلالة ظاهرية مبينة [1] ، والتفسير هو العلم الذي يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز [2]ويعد هذا العلم من أشرف العلوم واسماها لكونه يخص كتاب الله عز وجل الذي خص به عباده وفي كل ما يتعلق باحوالهم الدينية والدنيوية ، وهو يهدف الى تحقيق الفهم الكامل والوعي الشامل لما في هذا الكتاب الجليل من سور وآيات لا يدركها كل المسلمين إلا بالتوضيح والتفسير ، وقد شمر المعافى بن زكريا النهرواني عن ساعديه في سبيل هذه العناية الشريفة ، فكان له تأليف في ذلك مثل كتاب تفسير مشكل علوم القران [1] وسنورد فيما يلي بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر لنعكس من خلالها براعة وسعة المعافى وادراكه لمعاني القران العظيم فضلاً عن علمه بعلم القراءات .

قوله تعالى : چ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ٱ ٻ چ [2] قال القاضي ابو الفرج المعافى بن زكريا [3]جاء هذا الخبر بتلاوة هذه الآية وتأويلها ووردت بتلاوتها على من قرأ [وأسبغ عليكم نعمةً] بلفظ التوحيد وهي قراءة كثير من المكيين والكوفيين ، وقد قرأها كثير من

---

(1) الجرجاني : علي بن محمد بن علي الزين الشريف ، (ت816هـ) ، التعريفات ، تحقيق جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية (بيروت – 1983) ، ص 87 .

(2) المناوي : زين الدين محمد ، (ت1031هـ) ، التوقيف على مهمات التعاريف ، عالم الكتب ، (القاهرة – 1990) ، ص 193 .

(1) مركز الملك فيصل : فهارس المخطوطات الاسلامية ، مخطوط في مكتبة البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي تحت رقم (160) المملكة العربية السعودية .

(2) سورة لقمان الاية : 20 .

(3) الجليس الصالح والأنيس الناصح ، ص 480 .

الشاميين والبصريين [وأسبغ عليكم نعمه] على لفظ الجمع وهما قراءتان مشهورتان قد استفاض نقلهما وقرأت الأئمة بهما وراثة عن النبي (ﷺ) ومعناهما يرجع الى معنى واحد لأن قائلاً لو قال : ما يتقلب فيه فلان من المال والولد والصحة والأمن وانواع الخير وجميل الستر نعمة أسداها الله تعالى اليه أو قال هذه نعم من الله تعالى تفضل بها عليه لكان القولان صحيحين وكذلك تقارب المعنى في قراءة من قرأ ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ[4] ومن قرأ رحمة الله وقراءة من قرأ : ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ[5]، وخطيئاته وقد قيل ان معنى قوله خطيئته في هذا الموضع الشرك، وقيل بل كبائر ذنوبه التي مات ولم يتب منها وروي ان ابن كثير قال في معنى قوله [وأسبغ عليكم نعمة] هي شهادة ان لا إله إلا الله فيما زعموا وقيل بل هو عام شامل للنعم ومثل هذا في القران كثير ، وقيل ان هذا مما ينبئ الواحد منه عن جملة جنسه كقولهم هلكت الشاة والبعير وكثر الدرهم والدينار في أيدي الناس وقال الله تعالى ذكره : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ [1]، اراد الجنس دون اختصاص انسان واحد ألا ترى أنه استثنى منه جميعاً فقال : ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ[2]، وهذا باب مستقصى في ما رسمناه . [3]

ومما يتعلق بعلم المعافى بالتفسير يمكن أن نأخذ مثلاً آخر نستدل من خلاله عن ذلك ، ففي تفسير الآية الكريمة ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ[4]

---

(4) سورة الروم : الآية 50 .

(5) سورة البقرة : الآية 81 .

(1) سورة العصر : الآية 1-2 .

(2) سورة العصر : الآية 3 .

(3) الجليس الصالح : ص 480 .

(4) سورة الاحزاب : الآية 33 .

ليس الذي يذهبون اليه انما هو أزواج النبي (ﷺ) قال وكان عكرمة ينادي هذا في السوق [5] .

وفضلاً عن قيام المعافى بالتفسير بنفسه ، ينقل أيضاً تفاسير اخرى من شيوخه [1] ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ينقل عن محمد بن جرير الطبري تفسير قوله تعالى ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ [2]، قال صعد موسى وهارون (عليهما السلام) الجبل فمات هارون فقالت بنو اسرائيل انت قتلته وكان أشد حباً لنا منك وألين لنا منك وآذوه بذلك فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو اسرائيل أنه قد مات فبراه الله من ذلك [3] ، وقوله تعالى

---

(5) الواحدي : ابو الحسن علي بن احمد بن محمد بن علي ، (ت468هـ) ، اسباب نزول القران، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان ، دار الاصلاح ، (الدمام – 1992) ، 356/1 .

(1) لمزيد من التفصيلات ينظر : الثعلبي : ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ، (ت427هـ) ، الكشف والبيان في تفسير القران ، تحقيق محمد بن عاشور ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – 2002) ، 225/7 ، 11/8 ، 42 ، 49 ، 53 ، 60 ، 66 ، 67 ، 87 ، 94 ، 190 . البغوي : ابو محمد الحسين بن مسعود بن محمد ، (ت510هـ) ، معالم التنزيل في تفسير القران (تفسير البغوي) ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار احياء التراث العربي ، (بيـــــروت – 1420) ، 516/3 ، 61/4 ، 176،217 ، 176/6 ، 182/7 ، 230 ، 287 ، 363 ، 416 .

(2) سورة الاحزاب : الآية 69.

(3) الواحدي : الوسيط في تفسير القران الكريم ، تحقيق وتعليق عادل احمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية (بيروت – 1994) ، 384/3 .

: چ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[4]، ويقال وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه اذا كان ذا وجاهة وقدر . [5]

4- علمه برواية الحديث

لا نعتقد ان ما ذكر عن المعافى النهرواني من انه كان يقال عنه أنه اذا حضر حضرت العلوم كلها [1] ، مما يبالغ فيه ، فقد حوى المعافى على علوم كثيرة ، ولعل ما كان أجلها وهو الحديث النبوي الشريف ما قد كان له باع فيه لا يختلف عما عرف عنده من علوم اخرى ، وسوف نشير الى ايراده لبعض الاحاديث النبوية كنموذج لاستدلالنا على علمه بالحديث النبوي الشريف دون الولوج في تفصيلات كثيرة تخص المعافى في هذا الجانب .

فقد روى المعافى مرسلاً عن عائشة (ﷺ) قالت : كان رسول الله (ﷺ) مازحاً وكان يقول : [إن الله تعالى لا يؤاخذ المزاح الصادق في مزاحه] . [2]

---

(4) سورة الأحزاب : الآية 69 .

(5) الواحدي : التفسير الوسيط ، 384/3 .

(1) ابن الجوزي : المنتظم ، 213/7 .

(2) الصالحي : محمد بن يوسف الشامي ، (ت942هـ) ، سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله واعلام ثبوته وافعاله واحواله في المبدأ والمعاد ، تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1993) ، 11/7 .

ومن الاحاديث التي رواها عن محمد بن راشد ، عن محمد بن سليمان بن اسماعيل بن ابي الورد عن ابراهيم بن صرمة الأنصاري عن يحيى بن اسحق بن ابي طلحة عن انس بن مالك قال قال رسول الله (ﷺ) [من أتى الجمعة فليغتسل].[3]

وروي المعافى حديثاً عن محمد بن حمدوية بن سهل قال : حدثنا عبد الله بن حماد قالا حدثنا ابن ابي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا يحيى بن أبي سليمان عن المقبري عن ابي هريرة عنه ان رسول الله (ﷺ) قال : [من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها] .[1]

ويعلق المعافى على بعض الاحاديث ويضع لها شروطاً وافية عندما يرى ضرورة في ذلك ففي مجلسه الخمسين [2] يبدأ بحديث الرسول (ﷺ) معناه أن رجلاً دخل على النبي (ﷺ) فقال له استعملني فقال : انا لا نستعمل على عملنا من طلبه ولا من حرص عليه ويعقب المعافى : " تأملوا رحمنا الله وإياكم ما ورد به هذا الخبر عن نبينا في اخباره أنه لا يستعمل على الناس من طلب العمل عليهم ولا من حرص على

---

(3) تاريخ بغداد ، 363/1 وينظر : ابن حنبل : أبو عبد الله احمد بن محمد بن هلال (ت241هـ) ، مسند الامام احمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الارنؤوط و آخرون ، موسوعة الرسالة (بيروت – 2001) ، 50/9 ، وينظر: الهروي : ابو الفضل محمد بن ابي الحسين ، (ت317هـ) علل الاحاديث في كتاب الصحيح المسلم بن الحجاج ، تحقيق علي بن حسن الحلبي ، دار التجرة للنشر والتوزيع ، (الرياض – ب ت) ، ص143 .

(1) الرازي : ابو الفضل عبد الرحمن بن احمد بن الحسن المقريء ، (ت454هـ) ، احاديث في ذم الكلام واهله ، تحقيق ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع ، دار اطلس للنشر والتوزيع (الرياض – 1996) ، 156/2 .

(2) الجليس الصالح : ص 367 .

ولاية امورهم لأن من سأل هذا وحرص عليه لم يؤمن زيغه عن العدل في من يلي عليه ومحاباته لمن يوليه ، وشفار [3]غيضه ممن يعاديه والاستطالة بما بسط فيه على من بسط عليه فيجور في حكمه ويستعين في سلطانه على ظلمه " .[4]

5- علمه بالفقه :

من العلوم التي برع فيها المعافى بن زكريا النهرواني الفقه ، فقد اشير اليه الى انه كان من أعلم الناس في وقته بالفقه [1] ، ووصف بأنه العالم الفقيه وكان يرى راي ابن جرير الطبري في ذلك [2]، قرأ المعافى الفقه على داود وأخذ فقه الشافعي عن الربيع بن سليمان بمصر ، وعن الحسن بن محمد الزعفراني ببغداد ، وأخذ فقه مالك عن يونس بن عبد الأعلى وبني عبد الحكم محمد وعبد الرحمن وسعد ، وأخذ فقه أهل العراق عن أبي مقاتل بالري وأدرك الاسانيد العالية بمصر والشام والعراق والكوفة والبصرة والري ، وله اصحاب متفقهون على مذهبه من أمثال علي بن عبد العزيز بن

---

(3) شفار : وهو جمع شفرة من الحديد وفي المثل اضغر القوم شفرتهم أي خادمهم ، وتعني الحد من حد الحديد ، ابن منظور ، لسان العرب ، 420/4، 162/7 .

(4) المصدر نفسه ، ص367

(1) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 308/15 ، ياقوت ، معجم الادباء ، 2602/6 ، القفطي ، انباه الرواة ، 296/3 .

(2) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، 545/16 ، ينظر الشيرازي : ابو اسحق ابراهيم بن علي (ت476هـ) ، تهذيب طبقات الفقهاء ، محمد بن مكرم ابن منظور ، تحقيق احسان عباس ، دار الرائد العربي ، (بيروت – 1970) ، 93/1 .

محمد الدولابي [3]، وسنشير الى مسألتين فقهيتين على سبيل المثال لا الحصر للدلالة على ضلوع المعافى في هذا العلم ، فقد اختلف العلماء في الرجل يوصي الوصية في كتاب ويشهد على ما فيه من غير أن يقرأ على الشهود ثم يشهدون على ما فيه فينفذ فسوغ ذلك جماعات من اهل العلم ، قال القاضي ابو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني الجريري : أجاز ذلك وأمضاه وأنفذ الحكم فيه جمهور أهل الحجاز [4]، ومما يذكر له في علم الفقه عندما ذكرت أهمية المشاورة عند الفقهاء ، قال المعافى : " والحكمة في المشاورة في الدين التنبيه لهم على علل الأحكام وطريق الاجتهاد " . [1]

6- علمه بالتاريخ :

التاريخ سجل الماضي في مفهومه البسيط المتعارف عليه ، ولكن هذا المفهوم تطور وأصبح ذا مدلول حضاري واسع يشتمل بين جنباته فروعاً كثيرة من المعارف الإنسانية ، واصبح له منهجاً خاصاً به مبني على التحقق والتثبيت وغدا علماً من العلوم الاجتماعية ، مستفيداً من تجربة أهل الحديث في تدوينهم لأحاديث رسول الله (ﷺ) ، فكان التاريخ المرحلة الثانية بعد علوم الحديث ، وانبرى المؤرخون الأوائل من الجيل الأول لكتابة التاريخ معتمدين منهج أهل الحديث في ما يتعلق بالتأكيد على سلسلة الرواة في نقل الرواية التاريخية ولكنه لم يكن بمستوى التشدد الذي سلكه أهل

---

(3) ابن النديم : الفهرست ، ص 287 .

(4) ابن كثير ، طبقات الشافعيين ، 197/9 .

(1) القسطلاني : ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد بن ابي بكر ، (ت923هـ) ، المواهب اللدنية بالمنهج المحمدية ، المكتبة التوفيقية ، (القاهرة – ب ت) ، 317/2 .

الحديث في هذا الجانب ، ولكنه من المؤكد كان له الأثر الكبير في وصول الرواية التاريخية بالوجه الأفضل والأنصع من اجل الوصول الى الحقيقة التاريخية [2] ، واخذ التاريخ يحتل مكان الصدارة بين فروع المعرفة الانسانية وأصبحت المؤلفات تشغل فيه نسبة عالية من الكتب التي تصدر في الشرق والغرب على السواء ، وحتى الذين لم يفردوا كتباً خاصة في التاريخ ، كانوا قد تناولوا التاريخ في كتب اخرى وان لم تكن تاريخية صرفة ، كسائر كتب الأدب التي ألفها مؤلفوها في فترات الألق الفكري الذي أصبح عليه العرب المسلمون بعد القرن الرابع الهجري [1]، ويمكن ان نعد ما قام به المعافى بن زكريا في تضمينه كتابه الجليس الصالح والأنيس الناصح من كتابات تاريخية مما يدخل في هذا الباب ، فالتاريخ على رأي ابن خلدون هو " فن من الفنون التي تتداولها الامم والأجيال وتشد اليه الركائب والرحال وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال وتتنافس فيه الملوك والأقيال ويتساوى في فهمه العلماء والجهال " [2] ، وهو علم فيه " نظرٌ وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لهذا أصيل في الحكمة عريق " . [3]

ويعد المعافى بما رواه من مرويات تاريخية أوردها في كتابه الجليس الصالح والأنيس الناصح واحداً من أولئك العلماء الكبار الذين أسهموا في رفد حركة التدوين

---

(2) الدوري : عبد العزيز ، دراسة التاريخ العربي ، مجلة العربي ، العدد 240 ، 1960 ، ص 52 .

(1) طه باقر وآخرون ، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ، وزارة التعليم العالي العراقية ، (بغداد – 1980) ، ص 7 .

(2) ابن خلدون : المقدمة ، ص 219.

(3) المصدر نفسه ، ص7 .

التاريخي الاسلامي بالكثير من الأخبار والمرويات ، وهو بهذا يعد مورداً مهماً من موارد حركة التدوين التاريخي فهو علم من أعلام القرن الرابع الهجري ، ويمكن القول أنه استحق بجدارة تلك الأوصاف التي وصف بها من قبل علماء عصره أو من تلامذته الذين اخذوا الدرس على يديه .

مؤلفاته :

لم يشذ المعافي بن زكريا النهرواني عن علماء عصره الذين اشتهروا في التأليف والتصنيف والتدريب والرواية عن الآخرين ، فكانت له مؤلفات كثيرة ، ولكن مما يؤسف له ان اغلب كتبه لم تصل الينا ويبدو انها قد فُقدت كما فقد مثلها الآلاف من المؤلفات بسبب عوادي الدهر ، وسنشير الى ما وصل الينا من هذه الكتب واماكن تواجد مخطوطاتها ، ووفقاً لما اشارت اليه خزانة التراث في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية في المملكة العربية السعودية [1]، اما تلك الكتب التي لم تصل الينا ومازالت مفقودة الا من ذكر اسمائها وعناوينها والتي اوردها ابن النديم في كتابه الفهرست [2] ، فتشير اليها عناوينها دون ذكر التفاصيل اخرى حولها لعدم توفر مثل هذه التفاصيل في المصادر :

أ -مخطوطات الكتب التي وصلت عصرنا .

---

(1) ينظر خزانة التراث – 421/13 ، 424/62 ، 888/62 ، 657/69 .

(2) ص293-294

1 -الجليس الصالح الكافي والانيس الناصح الشافي .[3]

2 -مختصر الجليس الصالح الكافي والانيس الناصح الشافي .[4]

3 -تفسير مشكل اعراب القرآن [5] .

4 -حديث المعافي بن زكريا بن يحيى [1]

ب – ماورده ابن النديم [2]

1. كتاب التحريروالنفر في اصول الفقه .
2. كتاب الحدود والعقود في اصول الفقه .
3. كناب المرشد في الفقه .
4. كتاب شرح كتاب المرشد في الفقه .
5. كتاب المحاضر والسجلات .
6. كتاب شرح كتاب الخفيف للطبري .
7. كتاب الشافعي في مسح الرجلين .
8. كتاب الشروط .

---

(3) مركز فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية – المملكة العربية السعودية ، الرياض ، رقم الحفظ 3487 ف ب ، والمانيا ، جوتا رقم الحفظ 2/863 .

(4) مكتبة جوتا ، المانيا ، رقم الحفظ 2/864

(5) مكتبة مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، رقم الحفظ (160) عن جامعة برنستون برقم (2/228) تفسير مجاميع ، ونسخة من المخطوط موجود في معهد المخطوطات العربية بمصر ، القاهرة ، رقم الحفظ 1086 تفسير مصور .

(1) المكتبة المركزية – مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية ، رقم الحفظ 4/677 .

(2) ابن النديم الفهرست ، ص293– وما بعدها .

9. كتاب اجوبة الجامع الكبير لمحمد بن الحسن (كتاب اجوبة المزي على مذهب الطبري) .

10. كتاب الرد على الكرخي في مسائل .

11. كتاب الرد على ابي يحيى البلخي في افراد الاماء .

12. كتاب رسالته الى الطبري القاضي في مسألة في الوصايا .

13. كتاب في تأويل القرآن .

14. كتاب الرسالة في واو عمرو

15. كتاب القراءات .

16. كتاب المحاورة في اللغة .

17. كتاب شرح كتاب الجرحي .

18. كتاب رسالة عمر .

ويشير ابن النديم بالقول ان المعافى قال له : " ان له نيفاً وخمسين رسالة في الفقه والكلام والنحو وغير ذلك " [1]

[1] الفهرست ، ص293 . وابن النديم (ت438هـ) من المعاصرين للمعافى بن زكريا النهرواني

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه وبعد رحلة من البحث مع واحد من عمالقة الادب الرفيع وهو المعافى بن زكريا النهرواني الجريري وفي كتابه الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، خرجت الرسالة بجملة من النتائج المستخلصة وهي كالآتي :-

1 ان المعافى بن زكريا النهرواني هو واحد من الادباء الكبار يرتقي من حيث المستوى العلمي والادبي الى مصاف عمالقة الأدب من أمثال الجاحظ ت255هـ) والمبرد (ت258هـ) ، وأبي علي القالي (ت356هـ) وغيرهم.

2 اثبت البحث ان المعافى قصر حياته على العلم والادب ، ولم تكن تهمه مغريات الحياة ، فعلى الرغم من انه تولى القضاء .، الا ان توليه هذا المنصب لم يكن ليأخذ وقتاً طويلاً بدليل عدم اشارة المصادر الى مدة الولاية وما يتعلق بحياة المعافى ذات الصلة بهذا المنصب .

3 اثبت البحث ان هناك علاقة حميمة كانت تربط المعافى بمعاصريه من العلماء وهذا من خلال اقوال العلماء فيه مدحاً وثناءً ، وهي بلا شك علاقة العالم بالعالم او التلميذ بالشيخ وربما كانت القواسم المشتركة في مثل هذه العلاقة سبباً في ذلك خاصة ما كان يربط المعافى بأبي حيان التوحيدي .

4 كشف البحث حالة العصر الذي عاشه المعافى وهي فترة التسلط البويهي فهو عاش مدة الاحتلال هذه في عز شبابه حتى وفاته ، وحالة العصر هذه كانت مزدرى بها من خلال وصف المعافى غير المباشرلها

5 – اثبت البحث ان لقب الجريري الذي لحقه وعرف به كان ناتجاً من مناصرته للمذهب والمعتقد الذي كان عليه شيخه ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)

.

6 كشف البحث ان المعافى بن زكريا النهرواني كان فضلاً عن علمه بالفقه واللغة والأدب وعلم القراءات والتفسير كان مؤرخاً من نمط المؤرخين الذين اشار اليهم

.

7 اهتم المعافى بمنهج خاص في عرضه لمروياته التاريخية يقترب كثيراً من المنهج العلمي الحديث من حيث التوثيق والتدقيق وحسن العرض لكنه لم يكن له موضوع سار عليه ، وإنما كان ينطلق في عرض هذه المرويات من خلال مناسبة الحديث الذي يتحدث به .

8 اثبت البحث ان للمعافى مؤلفات كثيرة لكنها لم تصل الينا بالأغلب اما كتابه موضوع الدراسة فقد اشارت المصادر الى انه كان من خيرة كتبه .

9 لم نعثر من خلال البحث على معلومات متصلة حول اسرة المعافى وأصله غير ما ذكر عن كونه من مدينة النهروان وعاش وترعرع فيها .

10 تلقى المعافى المعرفة على يد شيوخ كثيرين وان ما عرضه من مادة تاريخية لم تتعد ما تلقاه من شيوخه فهو لا ينقل من كتب سابقة ، اذ لم ترد أية اشارة لذلك .

وبعد فان هذه النتائج التي عرضناها هي جزء بسيط مما أثبتناه في هذه الدراسة عن جهود المعافى في دراسة التاريخ من خلال كتابه الجليس الصالح والأنيس الناصح وهي لا تعكس بأي حال محتوى البحث الا من حيث الإشارة والإيجاز والتلخيص والتذكير بما جرت عليه الدراسة .

والله الموفـــق .